International Journal for Scientific Research (IJSR)

المجلة الدولية للبحوث العلمية

Vol. (4), No. (5) May 2025 الإصدار (4)، العدد (5)

تأثير الحروب واللجوء على الخطاب السردي العربي الحديث

عذاري عبدالرحمن مانع عبد العزيز المانع

دكتوراه الفلسفة في الآداب، تخصص الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة الإسكندرية، مصر

Atharialmanea83@gmail.com

الملخص

يدرس هذا البحث تأثير الصراعات والنزوح على الخطاب الروائي من ناحية الشكل والمحتوى، مُبرزًا التغييرات التي طرأت على البنية السردية في ظل التجارب القسرية للتهجير والتشريد. ويركز البحث على كيفية تجسيد الأدب القصصي للمعاناة الإنسانية، والهوية المنقسمة، والذاكرة المتفرقة، عبر تقنيات سردية تتنوع بين التجزئة، تعدد الأصوات، والمواءمة بين التوثيق والخيال.

كذلك يُظهر البحث دور الحروب في تفكيك البنية الاعتيادية للنص القصصي، ما يجعل السرد أداة للمقاومة والحفاظ على الذاكرة الجماعية. ويتتبع البحث خصائص هذا النوع من الأدب، مثل وجود الوطن الضائع كرمز، والشوق كدافع للسرد، بالإضافة إلى العلاقة المعقدة بين الذات والآخر في المنافي.

وبناءً عليه، يقدّم البحث مجموعة من النتائج التي تبين كيفية تحول الأدب القصصي إلى شهادة ثقافية وتاريخية، ويختتم بتوصيات تحثّ على دعم هذا الخطاب، عن طريق الترجمة، النشر، التوثيق، وتفعيل اللاجئين من سرد تجاربهم بأساليبهم الخاصة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السردي العربي، اللغة العربية، الحروب، اللجوء.

The impact of wars and asylum on modern Arabic narrative discourse

Athari Abdulrahman Manea Abdulaziz Almanea

PhD in Literature, Literary and Critical Studies, Alexandria University, Egypt

Atharialmanea83@gmail.com

Summary

This research examines the impact of conflict and displacement on narrative discourse in terms of form and content, highlighting the changes that have occurred in narrative structure under forced experiences of displacement and exile. The research focuses on how fictional literature embodies human suffering,

divided identity, and fragmented memory through narrative techniques that vary between fragmentation, polyphony, and the alignment of documentation and imagination. The research also demonstrates the role of war in dismantling the conventional structure of narrative text, making narrative a tool for resistance and preserving collective memory. The research traces the characteristics of this genre of literature, such as the presence of the lost homeland as a symbol, longing as a narrative motivator, and the complex relationship between self and other in exile.

Accordingly, the study presents a set of findings that demonstrate how narrative literature has transformed into a cultural and historical testimony. It concludes with recommendations that encourage the support of this discourse through translation, publication, documentation, and enabling refugees to narrate their experiences in their own unique ways.

Keywords: Arabic Narrative Discourse, Arabic Language, Wars, Asylum.

المقدمة

شهد الأدب العربي الحديث تحولات عميقة تحت وطأة الحروب، الاحتلالات، واللجوء القسري الذي طال شعوبًا عربية بأكملها. ومع اشتداد الأزمات السياسية والاجتماعية، اتخذ الخطاب السردي طابعًا مختلفًا، إذ غادر ثوابته الكلاسيكية، وانفتح على أسئلة الوجود، والهوية، والمنفى. لم تعد الرواية والقصة العربية تكتفي بسرد الأحداث، بل أصبحت مساحةً للكشف عن تمزقات الذات، وضياع المكان، وتشظي الزمن.

تُبرز هذه التحولات كيف أن معاناة الأفراد والمجتمعات انعكست بشكل مباشر على أشكال التعبير الأدبي، مما أفرز سردًا مغايرًا، متوترًا، ومشحونًا بالحنين والخسارة والبحث المستمر عن معنى في عالم فقد استقراره.

إشكالية الدراسة

يطرح هذا البحث تساؤلات جوهرية حول طبيعة التحول الذي أصاب الخطاب السردي العربي الحديث تحت تأثير الحروب واللجوء:

1. كيف انعكست الأزمات السياسية والإنسانية الكبرى على مضامين السرد العربي؟

2. ما هي التحولات الشكلية التي طرأت على البناء السردي نتيجة تجارب العنف، التشرد، وفقدان الوطن؟
3. إلى أي مدى استطاع الأدب السردي التعبير عن معاناة الإنسان العربي في المنفى وفي لحظة الانهيار؟
4. وهل أعادت هذه التجارب صياغة علاقة السرد بالهوية، والمكان، والذاكرة؟

أهمية الدراسة

من خلال هذه الدراسة تسعى الباحثة إلى التالي:

1. فهم الكيفية التي تفاعل بها الأدب مع المآسي الجماعية والإنسانية.
2. إبراز دور الخطاب السردي كأداة توثيق ومقاومة في مواجهة النسيان والاغتراب.
3. تحليل التحولات الفنية والجمالية التي طرأت على البناء السردي تحت تأثير الفقد والتشظي.
4. إغناء الدراسات النقدية العربية المعاصرة من خلال قراءة نصوص سردية حديثة في ضوء سياقاتها التاريخية والاجتماعية.
5. إن دراسة هذه الظاهرة تساهم في تعميق الوعي بتطور الأدب العربي، وتفتح المجال أمام قراءات جديدة تفهم السرد بوصفه مرآةً دقيقةً لتحولات الإنسان العربي وهمومه في عصر الأزمات.

أهداف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1. تحليل أثر الحروب واللجوء على مضمون الخطاب السردي العربي الحديث.
2. دراسة التحولات الفنية والبنيوية التي طرأت على السرد نتيجة التجربة القاسية للشتات وفقدان الوطن.
3. استكشاف كيفيات تمثيل معاناة الفرد العربي في نصوص روائية وقصصية معاصرة.
4. الكشف عن العلاقة بين الاضطرابات السياسية والاجتماعية وبين التغيرات الجمالية في الكتابة السردية.
5. إثراء الدراسات النقدية حول الأدب العربي الحديث من خلال تقديم قراءة معمقة تربط النصوص بسياقاتها الواقعية والتاريخية.

التمهيد

ارتبط الأدب العربي منذ نشأته بالتعبير عن قضايا الإنسان العربي، وهمومه اليومية، ومعاناته في مواجهة التحولات الكبرى. ومع تصاعد وتيرة الحروب والصراعات السياسية خلال العقود الأخيرة، باتت ظاهرة اللجوء والنزوح الجماعي من أبرز سمات الواقع العربي. وقد أدت هذه التحولات الدراماتيكية إلى انعكاسات واضحة على الخطاب السردي العربي، الذي لم يعد محصورًا في موضوعات الهوية أو الصراع الطبقي أو القومي التقليدي، بل انفتح على سرديات الشتات، والمنفى، وفقدان المكان والانتماء. إن الخطاب السردي الحديث، في ظل هذه الظروف، أصبح يعكس مآسي الإنسان العربي، وتجربته العميقة مع الضياع والتشظي، من خلال تحولات في البنية الفنية، واللغة، وزوايا الرؤية السردية. ومن هنا، جاءت الحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة، والكشف عن طبيعة العلاقة بين الحروب واللجوء، وبين ملامح الخطاب السردي العربي الحديث.

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات بحثية

قبل الدخول في صلب دراسة تأثير الحروب واللجوء على الخطاب السردي العربي الحديث، من الضروري توضيح بعض المفاهيم والمصطلحات التي تشكل الإطار النظري لهذا البحث، بما يضمن فهمًا دقيقًا للمصطلحات المستخدمة ويجنب الالتباس.

المطلب الأول: الخطاب السردي والحرب:

أولًا: مفهوم الخطاب السردي:

- **لغة:** لها معاني متعددة نذكر منها: "توالي الأشياء بعضها إثر بعض في حسن السبك وجمال النسج: السرد الحديث والقراءة سرد اسم جامع للدروع لأنه مسرد، فالمسرد المثقب وهو السرد والسراد [1]، ويعرفه المعجم الأدبي بأنه: "الحديث والقراءة تابعهما وأجاد سردهما" [2]، أما الفراهيدي فقال: "سرد القراءة والحديث يسردهت سرداً أي يتابعه بعضه بعضاً والسرد اسم جامد للدروع ونحوها من عمل الحلق وسمي سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار فذلك الحلق المسرد". [3]

[1]. الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، مادة سرج، مج 8، ص281
[2]. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص139.
[3]. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2016، ص11.

- **اصطلاحًا:** يعرفه عبد الله إبراهيم بقوله: "والسرد تقدمه شيء إلى شيء في الحديث بحيث يؤتى به متتابعًا لا خلل فيه؛ أي نظام كلام على نحو بارع تتلازم عناصره فلا تنافر يخرب اتساقها، والسارد هو من يجيد صنعة الحديث ويكون ماهراً في نسجه" [1].

فالخطاب السردي الطريقة التي تُروى بها الأحداث داخل النصوص الأدبية، سواء على مستوى البناء الزمني، أو الشخصيات، أو الرؤية السردية للعالم. ويتضمن الخطاب السردي العلاقة بين القصة وزمن الحكي، بين الراوي والمتلقي، وبين العالم الواقعي والعالم التخيلي.

وفي هذا البحث، نعني بالخطاب السردي العربي الحديث مجمل التعبيرات القصصية والروائية التي تتعامل مع الواقع العربي المعاصر، خاصة في ظل أزمات الحرب واللجوء.

يتفق تعريف عبد الله إبراهيم للسرد مع تعريف حميد لحميداني، والذي يقول فيه: "السرد هو الكيفية التي ترويها القصة عن طريق قناة الراوي والمروي لها وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها" [2]، لكن رولان بارت له نظرة أخرى في تعريفه للسرد، يقول: "إنه مثل الحياة علم متطور من التاريخ والثقافة". وبالرغم من بساطة هذا التعريف إلا أنه واسع جداً، فالحياة غنية عن التعريف وهذا راجع لتنوعها وسرعة تقلبها وارتباطها بالإنسان، ذلك الكائن المتمرد على كل تعريف أو قانون، ومن ثمة كانت الحاجة الماسة إلى فهم السرد بوصفه أداة من أدوات التعبير الإنساني، وليس بوصفة حقيقة موضوعية تقف في مواجهة الحقيقة الإنسانية" [3]، أما بعطيش يحيى يري أن: "السرد هو الطريقة التي يختارها المبدع أو الروائي ليقدم بها الحدث أو أحداث المتن الحكائي، ولهذا للسرد أشكال كثيرة تقليدية، كالحكاية عن الماضي تتم بضمير الغائب، كما هو الحال مع رائعة ألف ليلية وليلية، وكليلية ودمنة، والمقامات بوجه عام وجديدة تصطنع ضمير المخاطب، أو ضمير المتكلم أو استخدام أشكال أخرى كالمناجاة الذاتية والاستباق والارتداد. [4]

ويقترح "سعيد يقطين" للسرد مفهومين: "**أولهما**: إن السرد يشمل جميع المستوى التعبيري في العمل الروائي، بما في ذلك من حوار ووصف، والسرد بهذا المفهوم يقابل الحكي ويتفق مع جرار جنيت والذي يري أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من جانبين: الحكاية، والصياغة الفنية للحكاية"؛ وهذا يحتوي النص السردي عند "جنيت" على ثلاث مستويات هي: الحكاية – الحكي – السرد.

1. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ص45.
2. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003م، ص45.
3. عبد الرحيم الكردي، 2013، ص13.
4. بعطيش يحيي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 8، ص6، 2014م، ص6).

ثانيهما: إن السرد عند "سعيد يقطين" يختص فقط بتلخيص السارد لحركة الأحداث وأفعال الشخصيات وأقوالها وأفكارهم بلسانه هو" [1].

تشير الحروب في السياق السردي إلى النزاعات المسلحة التي شهدتها الدول العربية خلال العقود الأخيرة، سواء كانت حروبًا أهلية أو حروب احتلال أو تدخلات خارجية، مثل الحرب الأهلية اللبنانية، الحرب العراقية الإيرانية، الغزو الأمريكي للعراق، الحرب السورية، والحرب في اليمن، وغيرها. وتُعتبر هذه الحروب سياقات تأسيسية للعديد من التحولات في الخطاب الأدبي.

المطلب الثاني: اللجوء والمنفى:

أولًا: اللجوء:

اللجوء هو الانتقال القسري لفرد أو جماعة من موطنهم الأصلي إلى مكان آخر، نتيجة الخوف من الحرب أو الاضطهاد أو فقدان الأمان. ويتجلى اللجوء في الأدب من خلال موضوعات الغربة، فقدان الهوية، الحنين إلى الوطن، الإقامة في المنافي، وإعادة بناء الذات في بيئات غريبة، وفي الإعلان العلمي لحقوق الإنسان تنص المادة (14) على أن: "لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى، والتمتع به خلاصاً من الاضطهاد". [2]

وينطلق أدب اللجوء من مقولة (هوجو): "الإنسان الذي يري وطنه أثيراً على نفسه هو إنسان غفل طري العود، أما الإنسان الذي ينظر إلى أي تربة وكأنها تربة وطنه فهو إنسان قوي أما الإنسان قوي، أما الإنسان الكامل فهو ذلك الإنسان الذي يري العالم بأسره غريباً"، وذلك ليعيد النظر في فكرة المكان، ويطرح فكرة جديدة هي "المنفي"، فهو يرى أن تلك الهجرات البشرية الضخمة التي ارتبطت بالحرب، والكولونيالية، وإزالة الكولونيالية العظمى". [3]

ثانيًا: المنفى:

هو حالة من العزلة القسرية التي يعيشها الفرد أو الجماعة بعيدًا عن وطنهم الأصلي، نتيجة لأسباب سياسية، اجتماعية، أو إنسانية. ويُنظر إلى المنفى ليس فقط كمكان جغرافي بعيد عن الوطن، بل باعتباره حالة نفسية وثقافية ترتبط بفقدان الأمان، الهوية، والانتماء. في الأدب العربي، يرتبط المنفى بالتجارب السياسية القاسية، مثل تلك التي عاشها الكتاب والفنانون العرب بسبب القمع السياسي أو الحروب فالمنفي: "يولد الضغينة والالتياع، غير أن بمقدوره أيضًا أن يولد رؤية حادة وماضية، فما خلفه المرء

1. (السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي، تحقيق: طه وادي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م، ص103.
2. (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان).
3. (إدوارد سعيد، تأملات حول المنفي، ترجمة: ثائر ديب، دار الأدب، بيروت، 2004م، الجزء الأول، ص19).

وراءه يمكن أن يكون مثارًا للندب والتفجع، ويمكن أن يستخدم في توفير مجموعة مغايرة من العدسات، ولأن المنفى والذاكرة يسيران معًا بالتعريف تقريبًا، فإن ما يتذكره المرء من الماضي والكيفية التي يتذكر بها هو ما يحدد كيف ينظر هذا المرء إلى المستقبل". [1]

إن المنفى في الأدب العربي لا يُعتبر مجرد غياب جسدي عن المكان، بل هو غياب للروح والانتماء، حيث يعيش المنفي حالة من الاغتراب والتشظي الذاتي. وتعبّر النصوص الأدبية التي تتناول المنفى عن معاناة الذاكرة، وفقدان الارتباط بالمكان الأصلي، والبحث المستمر عن هويات بديلة أو إعادة تشكيل الذات في مكان غير مألوف.

في هذا السياق، يمكن تقسيم المنفى إلى نوعين رئيسيين:

1. **المنفي سياسيًا:** هو حالة النزوح القسرية التي يعيشها الأفراد بسبب القمع أو الاضطهاد السياسي، مثلما حدث مع العديد من الكتاب والمفكرين العرب في ظل الأنظمة القمعية أو الحروب.
2. **النفي الاجتماعي، أو الثقافي:** وهو حالة الغربة التي يعاني منها الأفراد في بيئات لا يتوافقون معها ثقافيًا أو اجتماعيًا، ويشمل هذا المنفى الأدبي والوجداني.

يُعد المنفى موضوعًا مركزيًا في الأدب العربي الحديث، حيث يعكس حالة اغتراب شاملة تشمل الأبعاد النفسية، الاجتماعية، والسياسية للشخصية العربية المعاصرة.

المطلب الثالث: الهوية والذاكرة:

أولًا: الهوية:

الهوية هي مفهوم مركب يشير إلى مجموع الصفات والمميزات التي تشكل كيان الفرد أو الجماعة، وتحدد علاقته بذاته وبالآخرين. تشمل الهوية العناصر الثقافية، الاجتماعية، السياسية، والتاريخية التي تساهم في تحديد الشخص أو المجموعة. في الأدب العربي، تتداخل الهوية مع قضايا الانتماء، الثقافة، التاريخ، والدين، وتُعتبر من المواضيع المركزية التي يعبر الأدباء عن صراعاتهم معها.

في الأدب العربي المعاصر، يعكس مفهوم الهوية الصراع بين الذات والآخر، وبين الفرد والمجتمع، خاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدها العالم العربي من حروب، نزاعات، وتهجير. يعبر الأدب العربي عن تأثير هذه التحولات على تشكيل الهوية الشخصية والجماعية، لاسيما في الظروف التي تشهدها الشعوب العربية من تشرد وفقدان للوطن. لذلك، فإن مفهوم الهوية في الأدب العربي يصبح مرتبطًا بشكل وثيق بمفاهيم أخرى مثل:

[1]. إدورد سعيد، خارج المكان، ص22.

1. **الهوية الوطنية:** التي ترتبط بالانتماء إلى دولة أو أمة، وتتمثل في الشعور بالارتباط بالأرض والشعب والتاريخ المشترك. وتصبح هذه الهوية عرضة للتهديد أو التغيير في حالات النزاع والحروب.
2. **الهوية الثقافية:** تلك التي تتشكل من مجموعة من القيم والمعتقدات والعادات التي تميز جماعة معينة. في الأدب العربي، تُظهر النصوص الأدبية كيف تؤثر الحروب والنزوح على الحفاظ على الهوية الثقافية، خاصة مع التشتت الاجتماعي والعيش في منفى يختلف عن بيئة الأصول.
3. **الهوية الفردية:** تشير إلى تصور الفرد لذاته وعلاقته بالعالم المحيط به. وتصبح هذه الهوية مشوشة أو حتى منتهكة في حالات اللجوء والنفي القسري، حيث يفقد الشخص ارتباطه بالمكان والزمان الذي يشكّل جزءً من كيانه.
4. **الهوية الهجينة أو المتعددة:** مع العيش في المنافي والتفاعل مع ثقافات أخرى، تظهر الهوية الهجينة، حيث تتشكل هويات جديدة متعددة الأبعاد تجمع بين الثقافات المختلفة. في الأدب العربي، يعكس هذا النوع من الهوية الصراع بين الحفاظ على الأصل والتكيف مع الواقع الجديد.

ثانيًا: الذاكرة:

الذاكرة هي قدرة الأفراد والجماعات على تذكر واستحضار تجارب الماضي، وهي تُعتبر جزءً أساسيًا من تشكيل الهوية الفردية والجماعية. في الأدب العربي، تمثل الذاكرة أداة هامة لفهم الصراعات الثقافية والاجتماعية، خاصة في سياقات الحروب والنزوح واللجوء. تتداخل الذاكرة مع مفاهيم مثل الهوية والانتماء والمكان، حيث تساهم في بناء أو تدمير صورة الذات لدى الأفراد والمجتمعات.

فالذاكرة: "هي قوة الهوية" [1]، ويعرفها آخرون بقولهم: "الذاكرة هوية فاعلة ولكنها يمكنها، على العكس، أن تهدد الشعور بالهوية وتزرع فيه الاضطراب، بل أن تدمره، كما تبين الأعمال التي تنصب على ذكريات الصدمات والمآسي: التاريخ المرضي للتعسفات الجنسية في الطفولة وذاكرة المذابح على سبيل المثال. والواقع أن العمل الوظيفي للذاكرة التي تبني الهوية مصنوع بالضرورة من الذكريات، وضروب النسيان". [2]

يمكن تقسيم مفهوم الذاكرة في الأدب العربي إلى عدة أبعاد رئيسية:

1. **الذاكرة الشخصية:** تدلّ على قدرة الأفراد على تذكّر خبراتهم الذاتية، سواء كانت لحظات سرور أو وجع أو فقدان. في الأدب العربي، نرى أن الذاكرة الشخصية غالبًا ما تكون مضطربة بفعل الحروب

[1]. ينظر: فيليب جوتار، النزاعات والانقسامات، باريس، دار نشر غاليمار، 1994م، ص546.
[2]. الذاكرة والهوية، ص13.

والتشريد، حيث يواجه الأفراد صعوبة في تذكر الماضي بشكل متناسق بسبب الصدمات النفسية والاجتماعية.

2. **الذاكرة الجماعية:** هي الذاكرة التي يشترك فيها فريق من الأفراد أو أمة كاملة، وتشمل الأحداث التاريخية الكبرى التي كوّنت هوية هذه الجماعة. في الأدب العربي، تظهر الذاكرة الجماعية في الكثير من النصوص التي تعالج القضايا القومية والإنسانية مثل النكبة الفلسطينية، الحروب الأهلية، أو النزاعات الكبرى في العالم العربي. تُعد الذاكرة الجماعية أداة مهمة لحفظ التاريخ الشعبي والتجارب الجماعية، لكنها تتعرض أيضًا للتحريف أو النسيان في ظل الظروف القاسية مثل الحروب أو محاولات الاستعمار.
3. **الذاكرة الثقافية:** هي الذاكرة التي تشمل الموروث الثقافي والتاريخي الذي يعبر عن الفنون والآداب والتراث المشترك بين أفراد الأمة. في الأدب العربي، تبرز الذاكرة الثقافية في الأعمال التي تعكس العلاقة بين الأدب والتاريخ، والتمسك بالعادات والتقاليد، بالإضافة إلى كيفية تأثير الحروب واللجوء على الحفاظ أو إعادة تشكيل هذه الذاكرة.
4. **الذاكرة المهجرة أو المنفية:** في سياق الحروب واللجوء، تتشكل ذاكرة خاصة بالمهاجرين والمنفيين، الذين يعانون من "فقدان الذاكرة" أو "الذاكرة المنكسرة"، حيث تترسخ الذكريات الحزينة عن الوطن الأم، وفي ذات الوقت، تظهر صعوبة في التأقلم مع بيئة جديدة قد تُنسى فيها بعض التفاصيل الثقافية أو التاريخية. في الأدب العربي، يعبر هذا النوع من الذاكرة عن محاولات الأشخاص المهاجرين إعادة بناء أو الحفاظ على ماضيهم في ظل تحديات الاغتراب.
5. **الذاكرة الجماعية والناقدة:** في الأدب العربي الحديث، تُعتبر الذاكرة وسيلة مهمة لانتقاد الأنظمة الاجتماعية والسياسية. الكتاب والأدباء العرب يستخدمون الذاكرة الجماعية لتسليط الضوء على المظالم التاريخية أو الانتهاكات التي تعرضت لها المجتمعات العربية، ويدعون إلى إعادة تفسير الأحداث والتجارب التاريخية بطرق تكشف عن الحقيقة وتهدف إلى الشفاء الجماعي.

المبحث الثاني: النظريات المؤطرة للخطاب السردي

النظريات المؤطرة للخطاب السردي:

تُعد النظريات السردية من الأدوات الأساسية التي تساعد في فهم كيف يتم بناء الخطاب السردي وتنظيمه في الأدب. وقد تطورت هذه النظريات لتتناول مختلف الجوانب الفنية والجمالية في السرد، مثل: كيف يتم بناء الأحداث، وتحليل الشخصيات، واستعمال الزمن، ودور الراوي. في الأدب العربي الحديث، يمكن النظر إلى هذه النظريات على أنها أطر تفسيرية تساعد في فهم كيفية استجابة الأدب للأحداث الكبرى، مثل الحروب واللجوء، وتحولات الذات في مثل هذه السياقات.

ويقوم الخطاب السردي على "شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه". [1]

يهتم الخطاب السردي بالتركيز على نص واحد في لحظة معينة "سواء أكان نصًا أدبيًا أو سرديات شفاهية، إلا أن النظرية السردية كما هي محددة هنا تعامل السرديات – عبر كل الأنواع والأساليب بوصفها تشكيلات عديمة الشكل ومتناثرة وليست بالضرورة قصصًا محلية متمايزة ومنفصلة". [2]

تتعدد النظريات السردية التي يمكن استخدامها لتحليل الخطاب السردي في الأدب العربي، وفيما يلي أبرزها:

المطلب الأول: نظرية ما بعد الكولونيالية:

نظرية ما بعد الكولونيالية هي نظرية موسوعية "تقوم" على تفكيك الحدود والمحددات التي تقوم على الهيمنة، والتي تخلق علاقات قوة غير متكافئة، تنشأ على التقابلات الثنائية من قبيل "نحن، وهم" و" العالم الأول"، والعالم الثالث"، والأبيض والأسود" و" المستعمِر، وبتني هدفًا سياسيًا أكثر تحديدًا أل وهو الخلخلة المستمرة للسلطة السياسية والثقافية، يركز هذا التوجه الفكري على فهم وتفسير العلاقات بين المستعمرين والمستعمرين، وكيف أن هذه العلاقات تستمر في تشكيل التاريخ والهويات الثقافية والسياسية للشعوب التي تعرضت للاستعمار. ترتكز هذه النظرية على نقد الأنظمة الاستعمارية، وتفكيك الخطابات التي رسختها، كما تسعى إلى فهم التفاعلات الثقافية بين الشعوب المستعمِرة والشعوب المستعمَرة.

نظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب العربي:

في الأدب العربي، كانت هناك تأثيرات واضحة لنظرية ما بعد الكولونيالية خاصة بعد الحقبة الاستعمارية في العالم العربي، خصوصًا بعد الاستعمار الفرنسي والبريطاني لبعض الدول العربية. الأدب العربي ما بعد الاستعمار يعكس بشكل واضح أزمة الهوية، والحاجة إلى إعادة تعريف الذات في مواجهة الهيمنة الثقافية التي فرضتها القوى الاستعمارية.

[1]. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2002م، 155.
[2]. مني بكر، الترجمة والصراع، حكاية سردية، ترجمة: طارق النعمان، ص85.

تستخدم العديد من الروايات العربية هذه النظرية لفحص قضايا مثل:

الاستعمار الفرنسي في الجزائر: عبر الأدب الجزائري، مثل أعمال كاتب مثل الطاهر وطار أو محمود درويش، يتم تمثيل الصراع الثقافي بين المستعمرين الفرنسيين والمستعمرين العرب، حيث يتم التأكيد على استعمار اللغة، الثقافة، وفقدان الهوية.

في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، حيث تتناول الرواية الصراع الداخلي والتشظي الذي يشعر به الفرد الجزائري بعد الاستعمار الفرنسي. جعلت الكاتبة العلاقات النصية الاجتماعية في هذه الرواية في أنساقها الفكرية واللغوية على شكل يصعب الحكم عليه، فجسد الحوار أصواتًا متعددة، أكسب الرواية الجانب الحكائي، والجانب السردي، والجانب السردي يعرفه النقاد بأنه "زاوية الرؤية القولية أو زاوية الرؤية الخطابية" [1]، ويُعد (خالد) هو أهم صوت في هذه الرواية تعتمد على استحضار الأقوال، وتستخدم الأساليب الخمسة من التقرير السردي إلى الكلام المباشر الحر بخصائص متميزة ؛ فكلما ينتقل التقرير السردي إلى الكلام المباشر الحر، تتقلص درجة حضور السارد، وسيطرته الكاملة وتتجه نحو الحيادية المطلقة". [2]

تقول الكاتبة: "قبل اليوم لم أكن أشعر بثقل السنين، كان حبك شبابي، وكان مرسمي طاقتي الشمسية التي لا تنضب، وكانت باريس مدينة أنيقة، يخجل الواحد أن يهمل مظهره في حضرتها... ولكنهم طاردوني حتى مربع غربتي، وأطفأوا شعلة جنوني... وجاؤوا بي حتى هنا، الآن نحن نقف جميعًا على بركان الوطن الذي ينفجر، ولم يعد في وسعنا ألا نتوحد مع الجمر المتطاير من فوهته، وننسى نارنا الصغيرة". [3]

لتعبر الكاتبة "عن المفهوم الكولونيالي أو الاستعماري وهو المصطلح المتداول في كتب التاريخ وذلك إلى اعتبار الثاني مقدمة أو مدخل للأول، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تميزه عن مصطلح ما بعد الاستقلال باعتباره الفترة التي أعقبت التخلص من الثاني". [4]

فقد قامت نظرية ما بعد الكونولية على عدة مقومات أهمها:

- **تفكيك الخطاب الاستعماري،** وهذا هو أهم مرتكزات وأهدف النظرية، التي ترمي إلى فضح الاستعمار وتفكيك مقولاته المركزية التي تعبر عن الهيمنة والتمييز العرقي والطبقي، حيث وجد

[1]. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، ص158.
[2]. ريمون ششلوميت كنان، رواية داستاني بو طيقاي معاصر، ص324.
[3]. ذاكرة الجسد، ص23.
[4]. علا وشيش، ما بعد الكولونالية ضمن خطابات ما بعد الكولونيالية، الجزائر، جامعة الجزائ، 2013، ص43.

كتاب نظرية ما بعد الاستعمار في منهجية التفويض التي تسلح بها الفيلسوف الفرنسي "جاك دريد" لآلية منهجية لتفكيك الخطاب الاستعماري". [1]

وهذا من ضمن الأسس أيضاً التي عملت الكاتبة على تبنيها في روايتها، تقول: "غدًا ستكون قد مرت (34سنة) على انطلاق الرصاصة الأولى لحرب التحرير، ويكون مر على وجودي هنا ثلاثة أسابيع، ومثل ذلك من الزمن على سقوط آخر دفعة من الشهداء، كان أحدهم ذلك الذي حضرت لأشيعه بنفسي وأدفنه هنا، بين أول رصاصة، وآخر رصاصة، تغيرت الصدور، وتغيرت الأهداف، وتغير الوطن". [2]

نظرية ما بعد الحداثة:

في إطار الأدب العربي، نجد أن النصوص السردية التي تتعامل مع الحروب واللجوء تتسم في كثير من الأحيان باللجوء إلى تقنيات ما بعد الحداثة، مثل كسر التسلسل الزمني، واستخدام الفانتازيا أو العبثية في السرد. هذه النظرية تركز على التشكيك في الروايات الكبرى، من المنظور الغربي: "ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا أو مفهومًا سياسياً أو مفهومًا تاريخياً يحصر المعنى، وإنما صيغة مميزة للحضارة؛ تعارض صيغة التقليد، ومع ذلك تظل الحداثة موضوعًا عامًا يتضمن في دلالته إجمالًا التطور التاريخي بأكمله والتبدل في الذهنية. [3]

لكن رولان بارت "يعتبرها زلزالًا حضاريًا عنيفًا وانقلاباً ثقافياً شاملًا لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه إذ هي موقف عام شامل ومعارض للثقافات التقليدية الشاملة السائدة. [4]

ما بعد الحداثة مصطلح أكثر التباساً لأن المواقف: "تعبر عن موقف متشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني، وبنسبة كبيرة تعد ما بعد الحداثة عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة، فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة.

ويرى دافيد. كارتر أن: "جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة باللغة والهوية، وكثيراً ما تكشف النصوص الأدبية فيما بعد الحداثة عن غياب الانغلاق، وتركز تحليلاتها على ذلك، وتهتم كل النصوص

[1] - كارتر، 2018، ص125.
[2] - ذاكرة الجسد، مصدر سابق، ص24
[3] - بارة، 2005، ص15
[4] - رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 1993م، ص44).

والانتقادات بعدم وضوح الهوية، وما هو معروف باسم "التناص" وهو إعادة صياغة الأعمال المبكرة أو الترابط بين النصوص الأدبية". [1] وتقوم الحداثة الجيدة علي: [2]

1. **عودة الاهتمام بالنزعة الإنسانية** (وقضايا الذات والذاتية في مجالات علم النفس والعلوم الاجتماعية في الغرب مع بداية التسعينات من القرن العشرين، بعد أن كانت للتشوية والتشكيك والتفكيك في مرحلة ما بعد الحداثة.
2. **الانفتاح على العالم الخارجي والتحرر من سجن اللغة وسجن الخطاب،** في مقابل التصور ما بعد البنيوي وما بعد الحداثي للإكراهات التي يخضع لها الوعي الإنساني من قبل الخطاب على الفضاء الاجتماعي ومؤسساته المتنوعة، وفي هذا الشأن، قدم المفكر الألماني يورغن هابرماس تصوره عما يدعوه بالفضاء العمومي الذي يعرفه بوصفه دائرة التوسط بين المجتمع المدني والدولة. ويقصد بذلك أن الرأي العام هو وسيلة المواطنين للضغط على الدولة. وفي هذا الفضاء تكتسب مفردات مثل "الفضاء المفتوح" و "الرأي العام" و"التبادل العقلاني" أهمية بالغة في الخطاب الثقافي لبعد ما بعد الحداثة بشكل عام.

وفقاً للنظرة الاجتماعية للسرد فهو "شكل المعرفة كما ندركه أول مرة فكل شيء ناتج عن سرد وكل عنصر لا ينتمي إلى شكل سردي فهو غير قابل للتخيل وغير مفهوم للعقل البشري فالسرديات وفقًا لهذا المنظور تمثل مجموعة من القصص العامة والخاصة التي نؤمن بصحتها، ومن ثم نجعلها موجهًا لسلوكياتنا – وليست فقط تلك التي نرويها للآخرين – ونتخذ منها أداة لإدراك طبيعة العالم الذي نعيش فيه". [3]

من أبرز الأعمال الأدبية العربية التي تتبنى أسلوب السرد ما بعد الحداثي هي رواية "عزازيل "للكاتب المصري يوسف زيدان.

تقدم الرواية سردًا يتداخل فيه الزمن والمكان "فالإنسان وحركته في مكان مرهون بوجود أشياء تتفاوت أنواعها، وصورها، بتفاوت الأمكنة، فهناك أمكنة العمل وحاجياتها وأمكنة الترفيه والمنازل وغيرها". [4]

يقدم الكاتب الأحداث من خلال شخصية هيبا الراهب المسيحي الذي يروي قصة حياته. تتنوع الأساليب السردية في الرواية ما بين الرسائل اليومية، والحوار الداخلي، والمذكرات، ليجعل

[1]. ميجان الرويلي، وسعد والبازعي: دليل الناقد العربي، المركز الثقافي العربي، 2010، ص142.
[2]. معن الطائي، بعد ما بعد الحداثة (استعادة الإنسان)، مجلة الاتحاد، الملحق الثقافي، 2014.
[3]. مني بيكر، إعادة تأطير الصراع في الترجمة، ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، العدد (68)، ص98-99)
[4]. مصطفي الضبع: استراتيجية المكان في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998م، ص96.

"استكشاف الأشياء في النص.. ليس بوصفها موضوعًا تتضمنه الرواية، وإنما بوصفه تقنية لها أثرها في سياق تشكيل النص على المستوى البناء الفني" [1]، يقول الكاتب: "سأبدأ من الحاضر، من اللحظة الحالية، من جلستي هذه في صومعتي التي لا يزيد طولها ولا عرضها عن مترين، من القبور المصرية ما هو أوسع منها، جدرانها من الحجر الذي يبني به الناس في هذه النواحي، يأتون من محاجر قريبة، كان لون الحجر أبيض، ثم صار بلا لون". [2]

ثم يعود مرة أخرى ليصف صومعته من زاوية المحسوس المعنوي لا المادي فيقول: "صومعتي هي الدائرة الصغرى من عالمي المحسوس، تحيط بها دائرة أكبر، هي هذا الداير الذي هويته يوم دخلته أول مرة، قبل سنين، ولزمته من يومها، ونعمت فيه بالسكينة التي طالما تمنيتها قبل مجيئي إلى هنا، حتى كان ما كان مما سوف أذكره". [3]

هنا يعمد الكاتب إلى الدلالة المتحولة وهي "تحول دلالة الشيء من وظيفته الطبيعية المنوطة به، إلى وظيفة أخرى ودلالة مغايرة، غير التي يتوقعها القارئ، دلالة غير المتعارف عليها بين أبناء المجتمع الواحد". [4]

ويذهب بعيدًا في السرد، ليعتمد على الدلالة المحولة فيقول: "جئتُ إلى الدير من القدس... سالیم، هیروسلیم، أورشالیم، أوروشالیم، إيلياء، بيت الرب! أسماء كثيرة حملتها تلك المدينة المقدسة، المحاطة بالجدب من كل النواحي، أقمت فيها بضع سنين، قبل المجيء إلى هنا تنفيذاً لمشيئة الرب، وتلبية لإشارة نسطور ونصيحته وتوصيته. [5]

فتحولات الدلالة من الرغبة في الرحمة والعدل، إلى التعجب من كل ما أصاب هذه المدينة بالجدب، لكنه مع ذلك نفذ الأمر وغادر متيقنًا بأن كل ما يحدث لهذه المدينة هو تحت رعاية الرب وعنايته.

ويلاحظ اعتماد الكاتب في "عزازيل" على التنقل بين الأزمنة، يتنقل السرد بين الأزمنة المختلفة، حيث يتداخل الماضي (حياة هيبا في مصر القديمة) مع الحاضر (تجربته في الإمبراطورية الرومانية). تتداخل هذه الأبعاد الزمنية لتشكل صورة مشوشة وغير ثابتة للحياة يقول الكاتب: "تطرح تساؤلات حول الحقيقة والواقع، كما تعرض تفاصيل مختلفة للأحداث من وجهات نظر متعددة،

[1]. مصطفي الضبع، الأشياء وتشكيلاتها في الرواية العربية، ص11.
[2]. رواية عزازيل، ص16.
[3]. رواية عزازيل، يوسف زيدان، ص18.
[4]. صلاح الدين بوجاه، في الواقعية الروائية الشيء بين الجوهر والعرض، ص72).
[5]. رواية عزازيل، يوسف زيدان، ص18.

مما يجعل القارئ يشكك في ما هو "حقيقي" في السرد، مثل لقاء الكاتب بأكتافيا، يقول: "كانت أوكتافيا مشغولة عني بما تفعله.. فرشت على الأرض منديلاً كبيرًا، وبعناية ماهرة وضعت على أطرافه الأربعة قطعًا من صوان البحر المتناثر في أرض المغارة، ثم أخذت تصف على المنديل المأكولات، بيض مسلوق، أرغفة الدقيق الأبيض، الجبن الأبيض، جبن آخر أشد بياضًا، كل شيء على المنديل الأبيض الكبير كان أبيض، ثوبها الشفيف أيضًا كان أبيض". [1]

فقد عرفت الكتابة السردية في هذه المرحلة تقنيات خاصة نحو تكنيك التاريخ البديل، مثل تقنيات الحذف، يقول يوسف زيدان: "كان لقاؤنا منذ زمن، يبدو لي اليوم بعيداً بعدما مضت سنوات طوال، صارت معها المواضع والمدن نائية عني، موغلة في النأي" [2]، فنراه في الوقت ذاته ينصب ويهدم، يتذكر وينسي، وذلك من خلال اعتماديه السردي على ثنائية (الأدب /التاريخ) وهما محور القص التاريخي، والحكم على الفعل الكلي للفن.

المطلب الثالث: نظرية الهوية والشتات:

تُعد نظرية الهوية والشتات واحدة من المفاهيم الأساسية في الأدب ما بعد الكولونيالي، حيث تُركز على العلاقة بين الهوية، والنفي، والتشظي، والنزوح. هذه النظرية تستند إلى فهم كيف يؤثر الشتات) التهجير أو الترحيل القسري) على بناء الهوية الفردية والجماعية. في الأدب العربي، خصوصًا في سياق الحروب والنزاعات والنفي الجماعي، تبرز قضية الهوية الممزقة والبحث المستمر عن الذات في عالم يفتقر إلى الاستقرار والأمان.

ويُعد الشتات الفلسطيني نموذجًا بارزًا في الأدب العربي حول الهوية والشتات، حيث يعكس الأدب الفلسطيني أزمة الهوية بسبب اللجوء والتهجير القسري بعد نكبة 1948. يُظهر الأدب الفلسطيني، مثل روايات غسان كنفاني) مثل "رجال في الشمس"، محنة الفلسطينيين الذين يعيشون في المخيمات وفي الشتات، حيث يعكس الروايات تأثير اللجوء على الأفراد وتشتت الهوية نتيجة لهذا الشتات المستمر.

رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطاهر بن جلون:

رواية "موسم الانتقال إلى الشمال" هي أحد النماذج البارزة في الأدب العربي التي تُبين تأثير نظرية الهوية والشتات على السرد. يسرد الكاتب حكاية مصطفى سعيد، الذي هاجر من موطنه إلى بريطانيا، ليواجه صراعًا ذاتيًا حول هويته الثقافية والاجتماعية. الرواية توضح كيف أن الشتات يزيد من اغتراب الفرد ويعزز أزمته في محاولة تحديد هويته في مجتمع غربي.

[1] -رواية عزازيل، يوسف زيدان، ص81.
[2] - يوسف زيدان، عزازيل، ص21-22.

يصور الطيب صالح كيف أن الشخصية الأساسية في الرواية تجد نفسها منقسمة بين هويتها الأصلية كعربي أفريقي، والهوية الغربية التي تتداخل معها أثناء فترة إقامته في بريطانيا. هذا التضارب بين الحضارتين يعكس الشتات كحالة من الاغتراب الداخلي والخارجي. تدور أحداث الرواية حول شاب سوداني يعود إلى قريته الصغيرة على ضفاف النيل بعد أن أتم دراسته في بريطانيا.

الراوي بلا اسم (وهو على الأرجح يمثل الكاتب نفسه) يكتشف في القرية شخصية غامضة تُدعى مصطفى سعيد، وهو رجل مثقف وعاشق للقراءة، لكنه يحمل أسرارًا مظلمة تتعلق بماضيه في الغرب.

من خلال حكايات مصطفى سعيد، تكشف الرواية عن قصته كطالب سوداني نابغ سافر إلى بريطانيا خلال فترة الاستعمار، وأقام هناك علاقات عاطفية مع نساء إنجليزيات، انتهت بكوارث مأساوية، ومنها انتحار بعض النساء.

يتحدث مصطفى عن صراعه الداخلي مع هويته وثقافته الأصلية، وعن الجروح النفسية الناتجة عن الاستعمار.

الرواية تتنقل بين حياة الراوي ومصطفى سعيد، حيث يُصبح الأخير رمزًا للتناقضات الثقافية والسياسية التي خلّفها الاستعمار.

تدور الرواية حول عدة محاور:

1. **الاستعمار وتبعاته:** "موسم الهجرة إلى الشمال" تناقش تأثير الاستعمار على الشعوب المستعمَرة وكيف غيّر هوية الأفراد والثقافات. مصطفى سعيد يمثل محاولة التمرّد على المستعمر عبر التلاعب بثقافته، لكنه في النهاية يكتشف أن هذا الصراع يدمره شخصيًا.
2. **الهوية والاغتراب:** مصطفى سعيد يعيش حالة اغتراب مزدوجة: فهو غير منتمٍ بالكامل للثقافة الغربية، ولا يشعر بانتماء حقيقي لثقافته السودانية بعد عودته. الرواية تعكس التساؤلات حول الهوية، والضياع الذي يواجهه الفرد عند الوقوع بين ثقافتين متناقضتين.
3. **الصراع بين الشرق والغرب:** الرواية تُظهر صورة الشرق كضحية للمستعمر، وصورة الغرب كمستعمر مستبد. لكن العلاقة بين الطرفين ليست أحادية؛ فمصطفى سعيد يُمارس بدوره نوعًا من السيطرة العاطفية على النساء الأوروبيات.
4. **المرأة كرمز ثقافي:** النساء في الرواية يُستخدمن كرمز ثقافي يعبر عن العلاقة بين الشرق والغرب. مصطفى يرى النساء الأوروبيات كأدوات انتقام من الغرب، لكن هذا يؤدي في النهاية إلى مأساة.

5. الذكورة والسلطة: مصطفى سعيد يُجسد فكرة الذكورة المفرطة والسيطرة التي تفشل في نهاية المطاف. الرواية تحلل كيف يمكن للأدوار الاجتماعية المرتبطة بالذكورة أن تكون مدمرة.

وتمثل الرواية نظرية الهوية والشتات في اعتمادها على:

- السرد المتداخل، حيث يحكي الراوي قصته ويتداخل مع ذكريات مصطفى سعيد. هذا الأسلوب يُبرز حالة الضياع والاغتراب.
- اللغة مزيج من الفصاحة العربية والصور الشعرية، مما يضفي على النص جمالية خاصة.
- تُستخدم الرمزية بشكل مكثف، خاصة في تصوير العلاقة بين الشخصيات وبين الثقافات.
- التحليل النفسي لشخصية مصطفى سعيد.
- التمرد: مصطفى يُحاول التمرّد على الاستعمار من خلال استغلال رموزه، لكنه يدمر نفسه في هذه العملية.
- الاغتراب: يعاني مصطفى من شعور عميق بالاغتراب، حيث لا ينتمي إلى أي من الثقافتين.
- الانتحار الرمزي: اختفاء مصطفى في النهر يُمكن قراءته كاستسلام نهائي للصراع الذي يعجز عن حلّه.

المبحث الثالث: العلاقة بين الإطار النظري والنصوص السردية

المنهج السوسيولوجي في الأدب العربي:

في الأدب العربي، يمكن ملاحظة تأثير المنهج الاجتماعي بشكل جلي في النصوص التي تعالج قضايا مجتمعية مثل الفقر، التمايز الطبقي، الاستعمار، والتهجير. الأدب العربي الحديث يعكس بشكل كبير الصراع الاجتماعي والتغيرات السياسية التي اجتازها المجتمع العربي، سواء كانت تلك التغيرات نتيجة الاحتلالات أو الحروب الأهلية أو التحولات الاقتصادية.

رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني:

تعتبر رواية "رجال في الشمس": للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني من أبرز الأعمال الأدبية التي يمكن دراستها باستعمال المنهج الاجتماعي. القصة تروي حكاية مجموعة من الفلسطينيين الذين يهاجرون إلى الكويت بحثًا عن العمل، ويواجهون صعوبات الحياة في الشتات.

"رجال في الشمس هي الصراع الشرعي المفقود، إنها صوت فلسطين الذي ضاع في خيام التشرد واللجوء، الذي يختنق داخل عربة يقودها خصي هزم مرة أولى وسيقود الجميع إلى الموت، وهي كقصة لا تدعي التعبير عن الواقع الفلسطيني المعاش في علاقاته المتشابكة، إنها إطار رمزي لعلاقات متعددة، تتمحور حول الموت الفلسطيني، وحول ضرورة الخروج منه باتجاه اكتشاف الفعل التاريخي، أو البحث عن هذا الفعل". [1]

أبو قيس: ماذا تريدين يا أم قيس

أم قيس: حدقت إليه وهمست كما ترى أنت

أبو قيس: سيكون بوسعنا أن نعلم قيس

أم قيس: نعم

أبو قيس: وربما نبني غرفة في مكان ما

أم قيس: أجل

أبو قيس: إذا وصلت.. إذا وصلت.

هذا الحوار يسجله الكاتب عدما عرض عليه السفر للكويت، والعيش هناك، يحمل بين جنباته بعداً سياسياً، يعبر من خلاله عن مأساة الفلسطيني الذي يحلم بغرفة، وعربة في حال أنه نجا من الموت، ويبدوا صياغة الحوار: "لم يخرج عما أرادته القصيدة الخطابية لنفسها من اللجوء على المستوى السياسي فحسب، وما تنتجه من تقريرية ومباشرة، والانطلاق من المعنى القومي الضيق إلى الدلالة الإنسانية الكبري". [2]

فقد صور الكاتب في هذه الرواية السقوط المدوي، والهزيمة الذاتية للمقاومة في لحظة ما بعد نظرة فاحصة للثورات العربية: "التي كان لها كبير الأثر في خلق هذه الروح الثورية لدي الإنسان الفلسطيني، إضافة إلى انبعاث مفاهيم الوحدة العربية والقومية العربية، قد مهدت تماماً لإيجاد تربة صالحة لنشأة هذا الأدب الروائي الجديد، واتخاذه سبيلاً للتعبير عن مأساة الإنسان الفلسطيني المنكوب ودفعه للثورة من أجل الخلاص من الاحتلال المغتصب". [3]

[1]. (محمد فؤاد السلطان، مجلة جامعة الأقصى، المجلد (11) العدد(2) يونيو (2007)، ص3)، يقول غسان كنفاني في حواره مع زوجته.
[2]. (أدب المقاومة، غالي شكري، دار المعارف، القاهرة، 1971م، ص129).
[3]. (الواقعية في الفن – سندلن فنكلشتن، ترجمة مجاهد عبد المنعم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1996، ص12).

المطلب الثاني: الصلة بين الإطار النظري والنصوص السردية:

تُعتبر العلاقة بين الإطار النظري والنصوص السردية من الموضوعات الجوهرية في دراسات الأدب والنقد الأدبي. فالإطار النظري لا يُعد مجرد خلفية معرفية أو أدوات تحليلية فقط، بل هو أيضًا عنصر أساسي يساعد في تفسير البنية السردية للأدب ويُسهم في فهم العلاقات المعقدة بين النصوص وقراءاتها المتنوعة.

والإطار النظري هو مجموعة من المفاهيم والنظريات التي تُستعمل لفهم وتحليل النصوص الأدبية. يضع هذا الإطار الأدوات والمنهجيات التي تحدد من خلالها الباحثة كيفية قراءة النص وتفسيره. يتباين الإطار النظري بناءً على المدرسة النقدية أو المنهج الذي يعتمد عليه الناقد، مثل المنهج السوسيولوجي، المنهج النفسي، نظرية التلقي، نظرية ما بعد الكولونيالية، أو نظرية السرد.

الإطار النظري على تفسير النصوص السردية:

الإطار النظري يحدد الطريقة التي يُقرأ بها النص السردي، ويعمل على إعادة تشكيل معاني النص بناءً على الأدوات والنظريات التي تعتمد عليها الباحثة. فمثلًا، إذا كان الإطار النظري الذي يوجه الدراسة هو نظرية السرد ما بعد الحداثي، فإن النص السردي سيُقرأ من منظور التشكيك في المعايير التقليدية للسرد مثل الزمن الخطّي والمنطق التقليدي، في حين أن النصوص قد تُبرز الفوضى أو اللاجدوى.

- **النظريات السوسيولوجية:** إذا كان الإطار النظري سوسيولوجيًا، فإن النص السردي سيُفهم بناءً على التوترات الاجتماعية أو الطبقات الاجتماعية، وسيُقرأ على أنه مرآة لحالة المجتمع أو نقدًا للواقع الاجتماعي.
- **النظريات النفسية:** من خلال الإطار النفسي، يتم فحص النص السردي على ضوء التحليل النفسي للشخصيات، ومثلًا تحليل الرغبات الدفينة، أو العلاقة بين اللاوعي والشخصيات في النص.
- **نظرية التلقي:** الإطار النظري الخاص بنظرية التلقي يوجه تحليل النص السردي نحو تفاعل القارئ مع النص. يتم التركيز على كيفية استقبال النصوص من قبل القراء في فترات زمنية مختلفة، وكيف تتغير قراءات النصوص بناءً على السياق الثقافي.

المطلب الثالث: الإطار النظري والنصوص السردية العربية:

في الأدب العربي، يتفاعل الإطار النظري مع النصوص السردية بناءً على الخصوصية الثقافية والتاريخية. على سبيل المثال، في الرواية العربية المعاصرة، يتعرض النص السردي لأبعاد متعددة تتداخل فيها الأبعاد السياسية والاجتماعية. قد يركز الإطار السوسيولوجي على دراسة تفاوت الطبقات الاجتماعية كما

هو الحال في روايات مثل "قنديل أم هاشم" و "الخبز الحافي"، حيث يُكشف عن فوارق الطبقات والفقر في المجتمعات العربية.

الإطار السردي النفسي:

يمكن أيضًا تطبيق الإطار النفسي على روايات مثل "الطريق" لنجيب محفوظ، حيث تكشف الرواية عن قسوة الحياة الداخلية للشخصيات التي تعيش في المدينة الكبرى، وتُظهر كيفية تأثير المجتمع الحضري على الحالة النفسية للأفراد.

الاختلافات بين النصوص السردية والإطار النظري:

من المهم الإشارة إلى أن الإطار النظري لا يفرض تفسيرًا واحدًا على النص السردي، بل هو مجرد أداة تحليلية تعمل على إضاءة جوانب معينة من النص. بعض النصوص السردية قد تتحدى الإطار النظري الذي يطبق عليها. على سبيل المثال، قد تتخذ بعض النصوص السردية أشكالًا سردية غير تقليدية أو تستخدم أساليب جديدة تجعل من الصعب تطبيق الإطار النظري بشكل حرفي.

الخاتمة

من خلال هذا البحث تسعي الباحثة إلى مناقشة الحروب واللجوء على الخطاب السردي، وقد أدت الحروب إلى مشكلات عدة مثل اللجوء، أو النفي وهو ما تبعه ظهور عدد من النظريات الأدبية المترجمة للواقع الذي يعيش الأديب، كما كانت وظيفة الأدب دوما لسان المجتمع، فظهرت الكونيولية، وما بعدها في محاولة للهجوم والتخلص من الاستعمار والهيمنة الاستعمارية.

أهم النتائج

توصلت الباحثة من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها:

1. تغير البنية السردية للنصوص في الأدب العربي داخل الرواية، وهو ما يعكس التعددية اللغوية، والفكرية التي يعيشها المجتمع.
2. تظل قضايا الهوية، والذاكرة، والحنين إلى الوطن، والهروب من المكان محل ارتكاز الخطاب السردي، والأقرب إلى الذاتية.
3. يتدخل الأدب مع التاريخ في التوثيق فتصبح الرواية شاهد حق يوثق المعاناة، والانتهاكات التي تتعرض لها المجتمعات.

أهم التوصيات

- تعزيز الاهتمام الدراسي بالأدب السردي للاجئين والمتضررين بالحروب: مساندة البحوث والدراسات التي تتناول تجارب اللجوء والحرب من خلال الخطاب القصصي، لفهم أعمق للبنية النفسية والاجتماعية للمتأثرين.
- توسيع نطاق الترجمة والإصدار: حفز ترجمة النصوص السردية المكتوبة من قبل لاجئين أو عنهم إلى لغات متعددة، لتوسيع دائرة القراءة وزيادة التفاهم الثقافي.
- دمج أدب الحرب واللجوء في المناهج التعليمية: إدراج نصوص منتقاة من هذا الأدب في مراحل التعليم المختلفة، لتعزيز قيم التعاطف، والتفكير النقدي، وفهم الآخر.
- التركيز على التوثيق الإبداعي لتجارب النزوح: دعم المبادرات التي تستخدم الأدب كوسيلة لتوثيق تجارب الحرب واللجوء، عبر القصة والرواية واليوميات، حفاظًا على الذاكرة الجماعية.
- إنشاء أرشيف رقمي للأدب السردي المتعلق بالحروب واللجوء: بهدف حفظ هذه النصوص من الاندثار وتوفيرها للباحثين والقراء، ويمكن أن يشمل مقاطع صوتية أو مرئية أيضًا.
- تشجيع السرد الذاتي وتمكين اللاجئين من سرد قصصهم: توفير منصات ومساحات آمنة للاجئين لكتابة ونشر تجاربهم بأنفسهم، بعيدًا عن التمثيل النمطي أو الفوقية الثقافية.
- إيلاء اهتمام خاص بأصوات الفئات المهمشة: التركيز على سرديات النساء، الأطفال، وكبار السن من اللاجئين، باعتبارها تحمل خصوصية سردية وإنسانية تستحق الدراسة والدعم.
- تحليل الخطاب السردي من منظور متعدد التخصصات: الجمع بين النقد الأدبي، علم النفس، الأنثروبولوجيا، ودراسات الهجرة، لفهم أعمق لتأثير الحروب واللجوء على تشكيل السرد.

قائمة المصادر والمراجع

1. إدوارد سعيد، تأملات حول المنفي، ترجمة: ثائر ديب، دار الأدب، بيروت، 2004م، الجزء الأول، إدوارد سعيد، خارج المكان.
2. بعطيش يحيي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 8، ص6، 2014.
3. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
4. حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003م.
5. رولان بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 1993م، ص44).

6. سندلن فنكلشتن، الواقعية في الفن، ترجمة مجاهد عبد المنعم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1996.
7. صلاح الدين بوجاه، في الواقعية الروائية الشيء بين الجوهر والعرض، ص72.
8. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، تحقيق: طه وادي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م.
9. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003.
10. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2016.
11. علا وشيش، ما بعد الكولونالية ضمن خطابات ما بعد الكولونيالية، الجزائر، جامعة الجزائ، 2013.
12. غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
13. فيليب جوتار، النزاعات والانقسامات، باريس، دار نشر غاليمار، 1994م.
14. محمد فؤاد السلطان، مجلة جامعة الأقصى، المجلد (11) العدد(2) يونيو (2007)، ص3)، يقول غسان كنفاني في حواره مع زوجته.
15. مصطفي الضبع، استراتيجية المكان في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998م.
16. معن الطائي، بعد ما بعد الحداثة (استعادة الإنسان)، مجلة الاتحاد، الملحق الثقافي، 2014.
17. مني بكر، الترجمة والصراع، حكاية سردية، ترجمة: طارق النعمان.
18. مني بيكر، إعادة تأطير الصراع في الترجمة، ترجمة: أحمد صديق الواحي، مجلة فصول، العدد (68).
19. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2002م، 155.
20. ميجان الرويلي، وسعد والبازعي: دليل الناقد العربي، المركز الثقافي العربي، 2010، ص142.
21. يوسف زيدان، رواية عزازيل، دار الشروق، القاهرة، 2008م.